٤ ـ بَاب

ذكرِ أخلاقِ أهلِ القرآن

قال محمد بن الحسين:

٢٨ ـ ينبغي لمن علَّمَه الله القرآن وفضَّلَه على غيره ممن لم يُحمِّله كتابَه، وأحبَّ أن يكون من أهل القرآن، وأهل الله وخاصَّتِه، وممن وعده الله من الفضل العظيم مما [٧٢/أ] تقدَّم ذِكرنا له، وممن قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قيل في التفسير: يعملون به حقَّ عمله[(١)].

٢٩ ـ وممن قال النبي ﷺ: «الذي يَقرأُ القرآن وهو ماهِرٌ به مع

= وقال في موضع آخر: وأما تعليم الصبيان في المسجد بحيث يؤذون المسجد فيه، فيكونون يرفعون أصواتهم، ويشغلون المصلي فيه، ويضيقون عليه فهذا مما يجب النهي عنه والمنع منه. والله أعلم. [من كتاب «تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد» لأبي بكر الجراعي الحنبلي (ص٢١٠ ـ ٢١١)، وانظر «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٠٤)، و«الفتاوى الكبرى» (٢/ ٨٦)].

٥ ـ عبثهم بالمصاحف بالكتابة والتمزيق كما هو مشاهد في كثيرٍ من المساجد.

٦ ـ توسيخهم لفُرُش المسجد وقد أُمرنا بنظافتها.

٧ ـ إتلافهم لبعض أملاك المسجد بالتخريب والتكسير.

٨ ـ قد يحتاج المعلّم إلى عقاب الصبي بالضربِ، وقد نُهي عن الضربِ في المسجدِ.

انظر: «مصنف» ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٣)، وعبد الرزاق (١/ ٤٣٦).

(١) تقدم برقم (١٠) من قال بهذا التفسير من السلف.

الكِرامِ السَّفرةِ، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شَاقٌّ؛ له أجران»[١].

٣٠ ـ وقال بشر بن الحارث: سمعت عيسى بن يونس يقول: إذا خَتَمَ العبدُ قَبَّلَ المَلَكُ بين عينيه[٢].

---

(١) رواه مسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران».

والمراد بالمشقة والتتعتع فيه هو مشقة حفظه ومراجعته حتى لا يتفلت من صاحبه، لا أن المراد به مشقَّة التكلُّف في تجويده وإخراج حروفه كما هو الحال عند كثير من قراء عصرنا.

فقد رواه البخاري (٤٩٣٧) عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران».

وعند ابن أبي شيبة (٣٠٦٦٠) وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٣١) عن عطاء، قال: الذي يهون عليه القرآن مع السفرة الكرام، والذي ينفلت منه، ويشقّ عليه له عند الله أجران.

(٢) في «شعب الإيمان» (١٩١٠) عن بشر بن موسى، حدثنا عمر بن عبد العزيز ـ شيخ له ـ، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: حدثنا يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، قال: إذا ختم الرجل القرآن قبَّل الملك بين عينيه.

قال بشر بن موسى: وقال لي عمر بن عبد العزيز: فحدَّثتُ به أحمد بن حنبل، فقال: لعلَّ هذا من مخبآت سفيان. واستحسنه أحمد بن حنبل جدًّا.

ـ وكذلك رُوي أن الملائكة تُصلي عليه إذا ختم القرآن، فروى الدارمي في «المسند» (٣٨٠٢) عن الأوزاعي، عن عبدة قال: إذا ختم الرجل القرآن بنهارٍ صلت عليه الملائكة حتى يُمسي، وإن فرغ منه ليلًا صلت عليه الملائكة حتى يُصبح.

ـ وفي «مختصر قيام الليل» للمروزي (ص٢٦٠) عن إبراهيم التيمي وطلحة بن مُصرِّف: كان يقال: إذا ختم الرجل القرآن من أول النهار صلت عليه الملائكة بقية نهاره حتى يُمسي، وإذا ختمه من أول الليل صلت عليه الملائكة بقية ليلته حتى يُصبح، وكانوا يحبون أن يختموا القرآن في أول النهار أو في أول الليل.

٣١ ـ فينبغي له أن يجعلَ القرآن ربيعًا لقلبه، يَعْمُرُ به ما خَرِبَ من قلبه، يتأدَّبُ بآداب القرآن، ويتخلَّقُ بأخلاقٍ شريفةٍ يَبِين بها عن سائر الناس ممن لا يقرأ القرآن(١).

فأوَّل ما ينبغي له أن يستعمل:

• تقوى الله في السِّرِّ والعلانية، باستعمالِ الورَعِ في مطعمه ومشربه، وملبسه ومسكنه(٢).

= ولهذا كان بعضُ السلف يحرصون على الاجتماع عند ختم القرآن والدعاء بعده.

ـ ففي «مختصر قيام الليل» للمروزي (ص٢٦٠) قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: تنزل الرحمة عند ختم القرآن، وكانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون: الرحمة تنزل.

ـ وفي «مُسند الدارمي» (٣٨٠٠) عن ثابت البناني قال: كان أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أشفى على ختم القرآن بالليل أبقى منه شيئًا حتى يصبح، فيجمع أهله فيختمه معهم.

ـ وفيه (٣٨٠١) عن ثابت قال: كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته، فدعا لهم.

(١) في «الحلية» (٢/ ٣٥٨) قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟! فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، فقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحشَّ فتكون فيه الحبَّة، فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسُن، فيا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟! أين أصحاب سورةٍ؟ أين أصحاب سورتين؟! ماذا عملتم فيهما؟!

(٢) بدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ وصيته لأهل القرآن بأكل الحلال الطيب، وهذا ما أمر الله تعالى به أنبيائه ورسله، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون].

ـ وفي «الحلية» (١/ ١٨٢) قال أبو حفص عمر بن صالح الطرسوسي: ذهبت أنا ويحيى الجلاء ـ وكان يقال: إنه من الأبدال ـ، إلى أبي عبد الله [أحمد بن حنبل] فسألته، وكان إلى جنبه فوران، وزهير، وهارون الحمال، =

- بصيرًا بزمانه وفسادِ أهله؛ فهو يحذَرهم على دينه.
- مُقبِلًا على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسدَ مِن أمره.
- حافظًا للسَانِه، مُميِّزًا لكلامِه[1].
- إن تكلَّم تكلَّمَ بعلمٍ إذا رأى الكلام صوابًا، وإن سكت سكت بعلمٍ إذا كان السكوتُ صوابًا.
- قليلَ الخوضِ فيما لا يَعنيه.
- يخافُ مِن لسانِه أشدَّ مما يخافُ من عدوِّه.

= فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟ فأبصر إلى أصحابه، فغمزهم بعينه، ثم أطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: يا بُنيَّ بأكل الحلال. فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث، فقلت له: يا أبا نصر، بم تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]. قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله، فقال: هيه إيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: قال: بأكل الحلال. فقال: جاء بالأصل.

فمررت إلى عبد الوهاب بن أبي الحسن، فقلت: يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾، قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله. فاحمرت وجنتاه من الفرح، وقال لي: أيش قال أبو عبد الله؟ فقلت: قال: بأكل الحلال. فقال: جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر، الأصل كما قال، الأصل كما قال.

ـ وفيها (٧/ ٣٦٩) قال شقيق البلخي: لقيت إبراهيم بن أدهم، في بلاد الشام.. فقال لي: يا شقيق، لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد، وإنما نبل عندنا من نبُل من كان يعقل ما يدخل جوفه ـ يعني: الرغيفين ـ من حله.

(١) في «الصمت» لابن أبي الدنيا (٣١) عن وهب بن مُنبِّه، قال في حِكم آل داود: حقٌّ على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مُقبلًا على شأنه.

وفيه أيضًا (٣٢) عن أبي حيان التيمي قال: كان يقال: ينبغي للرجل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه.

- يحبِسُ لسانَه كحبسِه لعدوِّه؛ ليأمن شرَّه وسُوء عاقبته[١].
- قليلَ الضَّحِك فيما يَضحكُ منه الناسُ لسوءِ عاقبة الضَّحك.
- إن سُرَّ بشيءٍ مما يوافق الحق تبسَّم.
- يكره المُزاحَ خوفًا من اللعب، فإن مزحَ قال حقًّا.
- باسطَ الوجه، طيِّبَ الكلام، لا يمدحُ نفسَه بما فيه، فكيف بما ليس فيه.
- يحذرُ نفسَه [٧٢/ب] أن تغلبَه على ما تهوى مما يُسخِطُ مولاه.
- لا يغتابُ أحدًا، ولا يَحقرُ أحدًا، [ولا يَسُبُّ أحدًا]، ولا يشمَتُ بمُصيبة، ولا يبغي على أحدٍ، ولا يحسدُه، ولا يُسيء الظنَّ بأحدٍ إلَّا لمن يستحق.
- يحسدُ بعلمٍ[٢]، ويظنُّ بعلمٍ، ويتكلمُ بما في الإنسان من عيبٍ بعلمٍ، ويسكتُ عن حقيقةِ ما فيه بعلمٍ.
- قد جعل القرآنَ والسُّنةَ والفقه دليلَه إلى كلِّ خُلقٍ حَسنٍ جميل.

حافظًا لجميعِ جوارحه عما نُهي عنه.

إن مَشى مَشى بعلمٍ، وإن قعدَ قعدَ بعلمٍ.

في «الصمت» لابن أبي الدنيا (١٦) قال عبد الله بن مسعود ﷺ: والذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

- وفيه (٢٤) قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: .. واخزن لسانك كما تخزن ورقك.

(٢) مراده رحمه الله بالحسد هاهنا: حسد الغبطة كما في قول النبي ﷺ: «لا حسد إلَّا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالًا، فهو يتصدق به آناء الليل والنهار».

رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

- يجتهدُ ليسلمَ الناسُ من لسانِه ويده.
- لا يجهلُ، فإن جُهِلَ عليه حَلُم.
- لا يظلِمُ، وإن ظُلِم عفا.
- لا يبغي، وإن بُغِيَ عليه صبر.
- يكظمُ غيظه ليُرضي ربه، ويغيظ عدوَّه.
- متواضعٌ في نفسه، إذا قيل له الحق؛ قَبِلَه من صغيرٍ أو كبير.
- يطلبُ الرفعة من الله تعالى لا من المخلوقين.
- مَاقتًا للكِبر، خائفًا على نفسه منه.
- لا يتأكَّل بالقرآن، ولا يُحبُّ أن تُقضى له به الحوائجُ[1].

---

(١) في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣٥٤) عن ميمون بن مهران قال: يا أصحاب القرآن، لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسون به الشف ـ يعني: الربح في الدنيا ـ، والتمسوا الدنيا بالدنيا، والتمسوا الآخرة بالآخرة.

ـ وفي «الجرح والتعديل» (١/ ١٠٠) عن عبد الرحمٰن بن مصعب، قال: كان رجلٌ أعمى يجالس سفيان، فكان إذا كان شهر رمضان خرج إلى السواد فيُصلي بالناس، فيُكسى، ويوهب له، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أُثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجَّلت ثوابك. فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، تقول هذا لي وأنا جليس لك؟!

قال: إني أتخوَّف أن يقال لي يوم القيامة: إنه كان جليس لك أفلا نصحته؟!

ـ وفي «مصنف» ابن أبي شيبة (٧٨٢٠) عن عمر بن أيوب، قال: أخبرني أبو إياس معاوية بن قرة، قال: كنت نازلًا على عمرو بن النعمان بن مقرن، فلما حضر رمضان جاءه رجل بألفي درهم من قبل مصعب بن الزبير، فقال: إن الأمير يقرئك السلام، ويقول: إنا لم ندع قارئًا شريفًا إلَّا قد وصل إليه منا معروف، فاستعن بهذين على نفقة شهرك هذا، فقال عمرو: اقرأ على الأمير السلام، وقل: والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، ورده عليه. =

- ولا يسعى به إلى أبناءِ الملوك.
- ولا يُجالسُ به الأغنياء ليُكرموه[١].

= ـ وفي «مسند الدارمي» (٥٩٤) عن عبيد بن الحسن، قال: قسم مصعب بن الزبير مالًا في قرَّاء أهل الكوفة حين دخل شهر رمضان، فبعث إلى عبد الرحمٰن بن معقل بألفي درهم، فقال له: استعن بها في شهرك هذا. فردَّها عبد الرحمٰن بن معقل، وقال: لم نقرأ القرآن لهذا.

(١) قال أبو عبيد رحمه الله في «فضائل القرآن» (ص١٦٣): جلست إلى معمر بن سليمان النخعي بالرَّقة ـ وكان من خير من رأيت ـ، وكانت له حاجة إلى بعض الملوك، فقيل له: لو أتيته فكلمته.

فقال: قد أردت إتيانه، ثم ذكرت القرآن والعلم فأكرمتهما عن ذلك. أو كلام هذا معناه.

ـ وفي «أخبار الشيوخ» للمروذي (٥٦) قال محمد بن سيرين: إن دعاك الوالي أن تقرأ عليه سورة من القرآن فلا تأته.

ـ وفيه أيضًا (٥٧) قال يونس بن عبيد: ثلاثة ما أحب مجالستهم: أمير ما أحب أن أُجالسه، وإن قال: اقرأ عليَّ سورة من القرآن. .اهـ.

قلت: وذكر نحو ذلك عن حماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وميمون بن مهران، وغيرهم كثير، وهذا أمر متواتر عنهم، فهم ينهون عن الخروج عليهم ويأمرون بالسمع والطاعة، وينهون عن إتيانهم وحضور مجالسهم لأنها فتنة لمن حضرها.

ـ وفيه (١٨٩) قال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري: إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لصٌّ، فإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مُراءٍ.

ـ وفيه (١٩٠) قال سفيان: إياك أن تخدع، يقول: تردّ مظلمة، أو تدفع عن مظلوم، فإن ذلك خدعة إبليس، اتخذها فجار القراء سُلَّمًا.

ـ وفي «أخبار أبي القاسم الزجاجي»: مرَّ الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القُراء، فسلَّم، ثم قال: ما لكم جلوس قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصَّرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم، أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم، فضحتم القراء؛ فضحكم الله.

ـ وفي «الطيوريات» (١٠٠٣) عن ابن السماك قال: الذباب على العذرة =

• إن كَسَبَ الناسُ من الدنيا الكثيرَ بلا فقهٍ ولا بصيرةٍ، كَسَبَ هو القليلَ بفقهٍ وعلمٍ.

• إن لَبِسَ الناسُ اللَّيِّنَ الفاخرَ، لَبس هو من الحلالِ ما يسترُ عورته.

• إن وُسِّع عليه وَسَّعَ، وإن أُمسك عليه أَمسَكَ.

• يقنعُ بالقليلِ فيكفيه، ويحذرُ على نفسِه مِن الدنيا ما يُطغيه.

• يتبَعُ واجبات القرآن والسُّنة.

• يأكلُ الطعام بعلمٍ، ويشربُ بعلمٍ، ويلبسُ بعلمٍ، وينامُ بعلمٍ، ويُجامعُ أهله بعلمٍ، ويصحبُ الإخوان بعلمٍ، يزورهم بعلمٍ، ويستأذن عليهم بعلمٍ، ويُسلِّمُ عليهم بعلمٍ، يُجاور جارَه بعلمٍ. [٧٣/أ]

• يُلزم نفسه برَّ والديه، فيخفض لهما جناحَه، ويخفض لصوتهما صوته، ويبذل لهما ماله، وينظر إليهما بعين الوقار والرَّحمة، يدعو لهما بالبقاء، ويشكر لهما عند الكِبر، لا يضجرُ بهما، ولا يحقِّرهما، إن استعانا به على طاعة أعانهما، وإن استعانا به على معصيةٍ لم يعنهما [عليها]، ورَفِق بهما في معصيته إياهما بحسن الأدب ليرجعا عن قبيح ما أرادا مما لا يحسُن بهما فعله[1].

• يصلُ الرَّحِمَ، ويكره القطيعة، من قطعه لم يقطعه، ومن عصى الله فيه أطاع الله عَزَّوَجَلَّ فيه.

= أحسن من القراء على أبواب الملوك.
وانظر كتاب «أخلاق العلماء» رقم (١٠١) ففيه زيادة بيان.

(١) في «الجامع لأخلاق الرواي» (١٧٦٧) قال هشام بن حسان: قلت للحسن: إني أتعلم القرآن، وإن أُمِّي تنتظرني بالعشاء، قال: فقال الحسن: تعشَّ العشاء مع أُمِّك تقرُّ به عينها أحبّ إليَّ من حَجَّة تحُجُّها تطوعًا.

- يصحبُ المؤمنين بعلمٍ، ويُجالسهم بعلمٍ، من صحبه نفعه.
- حَسَنُ المجالسة لمن جالس.
- إن علَّمَ غيره رَفَق به، لا يُعنِّف من أخطأ ولا يُخجِّله.
- رفيقٌ في أموره، صبورٌ على تعليم الخير.
- يأنس به المتعلِّم، ويفرح به المُجالس، مُجالسته تفيد خيرًا.
- مؤدِّبٌ لمن جالسه بأدب القرآن والسُّنة.
- إن أُصيب بمُصيبة فالقرآن والسُّنة له مؤدِّبان.
- يحزن بعلمٍ، ويبكي بعلمٍ، ويصبر بعلمٍ، يتطهر[1] بعلمٍ، ويُصلي بعلمٍ، ويُزكي بعلمٍ، ويتصدَّق بعلمٍ، ويصوم بعلمٍ، ويحجُّ بعلمٍ، ويجاهد بعلمٍ، ويكتسب بعلمٍ، ويُنفق بعلمٍ، وينبسط في الأمور بعلمٍ، وينقبض عنها بعلمٍ، قد أدَّبه القرآن والسُّنة.
- يتصفَّح القرآن ليؤدِّب به نفسه، لا يرضى من نفسه أن يؤدِّي ما فرض الله عليه بجهل.
- قد جعل العلم والفقه دليلَه إلى كلِّ خيرٍ.
- إذا درَّس القرآن فبحضُور فهمٍ وعقل.
- همَّته إيقاعُ الفهم لما ألزمه الله: من اتباع ما أمر، والانتهاء [٧٣/ب] عمَّا نهى، ليس همَّتُه متى أختمُ السورة؟
- همَّته: متى أستغني بالله عن غيره؟
- متى أكون من المُتقين؟
- متى أكون من المحسنين؟

---

(١) في الأصل: (وينظر)، وما أثبته من (ب).

- متى أكون من المتوكِّلين؟
- متى أكون من الخاشعين؟
- متى أكون من الصابرين؟
- متى أكون من الصادقين؟
- متى أكون من الخائفين؟
- متى أكون من الراجين؟
- متى أزهد في الدنيا؟
- متى أرغب في الآخرة؟
- متى أتوب من الذنوب؟
- متى أعرف قدر النِّعم المتواترة؟ متى أشكر عليها؟
- متى أعقل عن الله الخطاب؟
- متى أفقه ما أتلو؟
- متى أغلب نفسي على ما تهوى؟
- متى أجاهدُ في الله حقَّ الجهاد؟
- متى أحفظ لساني؟ متى أغُضُّ طرفي؟ متى أحفظ فرجي؟
- متى أستحي من الله حق الحياء؟
- متى أشتغل بعيبي؟
- متى أصلح ما فسد من أمري؟
- متى أُحاسِبُ نفسي؟
- متى أتزود ليوم معادي؟
- متى أكون عن الله راضيًا؟
- متى أكون بالله واثقًا؟
- متى أكون بزجر القرآن مُتَّعِظًا؟

- متى أكون بذكره عن ذِكرِ غيره مُشتغِلًا؟
- متى أُحبُّ ما أحبَّ؟ متى أبغضُ ما أبغض؟
- متى أنصح لله؟
- متى أخلص له عملي؟
- متى أُقصِّرُ أملي؟
- متى أتأهبُ ليوم موتي وقد غُيِّب عني أجلي؟
- متى أعمرُ قبري؟
- متى أُفكِّر في الموقِف وشدته؟
- متى أُفكِّرُ في خَلوتي[1] مع ربي؟
- متى أُفكِّر في المُنقلبِ؟
- متى أحذرُ مما حذَّرني منه ربي من نارٍ حرُّها شديد، وقعرها بعيد، وغمُّها طويل، لا يموت أهلها فيستريحوا، ولا تُقال عثرتُهم، ولا تُرحمُ عبرتُهم، طعامُهم الزقومُ، وشرابُهم الحميمُ، كلما نضجت جلودهُم بُدِّلوا جلودًا غيرها ليذقوا العذاب، ندموا حيثُ [٧٤/أ] لا ينفعهم الندمُ، وعضَّوا على الأيدي[2] أسفًا على تقصيرهم في طاعة الله، وركوبهم[3] لمعاصي الله.

فقال منهم قائل: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر].

وقال قائل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون].

---

(١) في (أ): (خلوي)، وما أثبت من (ب).
(٢) في هامش (ب): (الأنامل).
(٣) في (أ): (ركونهم).

وقال قائل: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال قائل: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان].

وقالت فرقةٌ منهم ووجوههم تتقلَّبُ في أنواع من العذاب، فقالوا: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب].

فهذه النار يا معشر المسلمين، يا حملة القرآن، حذَّرها الله المؤمنين في غير موضع من كتابه رحمة منه للمؤمنين، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر].

ثم حذر المؤمنين أن[1] يغفلوا عما فرض عليهم، وما عهده إليهم، ألا يضيعوه، وأن يحفظوا ما استرعاهم من حدوده، ولا يكونوا كغيرهم ممن فسق عن أمره، فعذَّبه بأنواع العذاب، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر][2].

---

(١) في الأصل: (عما)، وما أثبته من (ب).

(٢) من السلف من فسَّر نسيان الله ونسيان كتابه بترك العمل بطاعة الله وبما في القرآن، وكذلك ما ورد من الأحاديث في ذم من نسي القرآن، أي: نسيان العمل به.

ففي «الاستذكار» (٢/ ٤٨٩) عن نُعيم بن حماد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول في معنى ما جاء من الأحاديث في نسيان القرآن، قال: هو ترك العمل بما فيه، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]. =

ثم أعلم المؤمنين أنه ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر].

٣٢ ـ فالمؤمن العاقلُ إذا تلا القرآن [٧٤/ب] [استعرض القرآن]، فكان كالمرآة يرى بها ما حسُن من فعله، وما قَبُح منه، فما حذَّره مولاه حذره، وما خوَّفه به من عقابه خافه، وما رغَّبه فيه مولاه رغب فيه ورجاه.

فمن كانت هذه صفتُه، أو ما قاربَ هذه الصفة، فقد تلاه حقَّ تلاوته، ورعاه حقَّ رعايته، وكان له القرآن شاهدًا وشفيعًا وأنيسًا وحِرزًا.

ومن كان هذا وصفُه، نفع نفسه، ونفع أهله، وعاد على والديه وعلى ولده كل خيرٍ في الدنيا وفي الآخرة[1].

= وليس من اشتهى حفظه، وتفلَّت منه بناسٍ له إذا كان يُحلِّل حلاله، ويُحرِّم حرامه.

قال: ولو كان كذلك ما نسي النبي ﷺ شيئًا منه، قال: الله ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى]، وقد نسي رسول الله ﷺ منه أشياء، وقال: «**ذكرني هذا آية أُنسيتها**».

قال سفيان: ولو كان كما يقول هؤلاء الجُهَّال؛ ما أنسى الله نبيه منه شيئًا.

ـ قال إبراهيم الحربي رحمه الله في «غريب الحديث» (٢/ ٤٢٩): قوله: «**من قرأ القرآن ثم نسيه**»، يقول: ترك العمل به، كما قال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: تركوا العمل بطاعته، فنسيهم من رحمته: تركهم. اهـ.

(١) فمن آمن بالقرآن وأقام حدوده كما أُمر أثَّر فيه القرآن.

ـ ففي «فضائل القرآن» لأبي عبيد (٩٥) عن محمد بن كعب القُرظي، قال: كنا نعرف قارئ القرآن، أو كان يُعرف قارئ القرآن بصُفرة اللون.

ـ وفي «الزهد لأحمد» (١٤٥٣) قال الحسن البصري وهو يحلف بالله: والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولنَّ في الدنيا حزنك، وليشتدنَّ في الدنيا خوفك، وليكثرنَّ في الدنيا بكاؤك.

ـ وفي «الحلية» (٣/ ٢٤٦) قال أبو حازم: كنت ترى حامل القرآن في =

٣٣ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو بكر عبد الله بن سُليمان السجستاني، قال: ثنا أبو الطاهر أحمد بن عَمرو، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، عن زبان[١] بن فائدٍ، عن سهل بن معاذ الجهني، عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن وعمل بما فيه، أُلبس والداه[٢] تاجًا يوم القيامة، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل بهذا**»[٣].

٣٤ ـ أخبرنا محمد، قال: أنبا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا شجاع بن مخلد، قال: ثنا يعلى بن عُبيد، عن الأعمش، عن خيثمة، قال: مرَّت امرأةٌ بعيسى ابن مريم عليه السلام فقالت: طُوبى لحِجرٍ حملك، ولِثَديٍ رضعت منه.

فقال عيسى: طُوبى لمن قرأ القرآن ثم عَمِلَ به.

٣٥ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا عُمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا عُبيد الله بن عُمر القواريري، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا بشير بن مهاجر، عن عبد الله بن بُريدة، عن

= خمسين رجلًا، فتعرفه قد مصعه القرآن، وأدركت القراء الذين هم القراء، فأمَّا اليوم فليسوا بقرّاء ولكنهم خرّاء.

ـ وفي «البدع» لابن وضاح (٢٣٨) قال الأعمش: قال لي شقيق أبو وائل: ما شبهت قراء زمانك إلَّا بغنم رعت حمضًا، فمن رآها ظن أنها سمان، فإذا ذبحها لم يجد فيها شاة سمينة.

(١) في الأصل: (زياد)، والصواب ما أثبته من كتب التراجم.

(٢) في (أ، ب): (والديه).

(٣) رواه أحمد (١٥٦٤٥)، وأبو داود (١٤٥٣)، وفي إسناده: زبان بن فائد. قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: زبان بن فائد، أحاديثه أحاديث مناكير. «العلل» (٤٤٨١).

وقال يحيى بن معين: سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه ضعيف.

انظر: «الجرح والتعديل» (٤/ ٢٠٤).

أبيه، عن النبي ﷺ قال: «يجيء القرآن يوم القيامة إلى [٧٥/أ] الرجل كالرجلِ الشَّاحب[١]، فيقول له: من أنت؟ فيقولُ: أنا الذي أظمأتُ نهارك، وأسهرت ليلك»[٢].

٣٦ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان، قال: ثنا أبو الطاهر أحمد بن عَمرو، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني موسى بن أيوب، عن عمِّه إياس بن

---

(١) الشاحب: المتغيِّر اللون والجسم لعارض من سفرٍ أو مرضٍ ونحوهما. «تهذيب اللغة» (٢/ ٤٤٥).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٥٠)، وابن ماجه (٢٧٨١).

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ١٥٢) بعد أن ساق رواية أحمد من «مسنده»: وروى ابن ماجه من حديث بشير بن المهاجر بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم، فإن بشيرًا هذا أخرج له مسلم، ووثقه ابن معين، وقال النسائي: ليس به بأس، إلَّا أن الإمام أحمد قال فيه: هو منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تجيء بالعجب. وقال البخاري: يخالف في بعض حديثه. وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن عدي: روى ما لا يتابع عليه. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. قلت: ولكن لبعضه شواهد.. إلخ، ثم ذكرها ابن كثير.

والحديث ضعَّفه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٨٢).

وانظر: «مصنف» ابن أبي شيبة (من قال: يشفع القرآن لصاحبه يوم القيامة).

ـ وفي «مصنف» ابن أبي شيبة (٣٠٦٧٢)، و«فضائل القرآن» لابن الضريس (٩٤) عن مجاهد، قال: يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب جاء من الغَيبة، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفُني؟ فيقول: لا، من أنت يا عبد الله؟ فيقول: أنا الذي كنت أمنع منك النوم، واللذة. قال: إنك القرآن. فيأخذ بيده، فينطلق به، فيقول: ابسط يمينك، فيبسط يمينه، فتملأ من رضوان الله، وتحلُّ عليه حلة الكرامة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، وينطلق به إلى درجات الجنة، ويقال له: اقرأ وارقه، واعلم أن منزلك عند آخر آية كنت تقرأها.

عامر، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال له: إنك إن بقيت فسيقرأ القرآن على ثلاثة أصناف:

- صِنفٌ لله.
- وصِنفٌ للدنيا.
- وصِنفٌ للجدل، فمن طلب به أدرك.

قال محمد بن الحسين:

قد ذكرت أخلاق الصنف الذين قرؤوا القرآن يُريدون الله عز وجل بقراءتهم[1].

وأنا أذكرُ الصنفين الذين يُريدون بقراءتهم الدنيا والجدل، وأصِفُ أخلاقهم حتى يعرفها من اتقى الله فيحذرها.

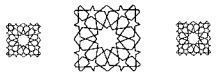

(١) فليتق الله صاحب القرآن، وعليه أن يتخلَّق بأخلاق أهل القرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

روى عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١١) عن صالح المُرِّي قال: أتى رجلٌ الحسن، فقال له: يا أبا سعيد، إني إذا قرأتُ كتابَ الله عز وجل فذكرتُ شروطَه، وعُهودَه، ومواثيقَه؛ قطعَ بي رجائي.

فقال له الحسن: ابن أخي، إن القرآنَ كلامُ الله عز وجل إلى القُوَّةِ والمتانة، وإن الأعمال: أعمال ابن آدم إلى الضَّعفِ والتقصير؛ ولكن سدد، وقارِب، وأبشر.